

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ١٩٩٧/٥٠

الأحد ١٤ كانون الأول

أحد الأجداد القديسين

والقديسين الشهداء تيرسس

ولفكيوس وكلينيكس وفيليمون

وأبولوبيوس، وأريانوس ورفقته

اللحن الأول

إنجيل السحر الرابع

الرسالة (كولوسي ٣ : ٤ - ١١)

الإنجيل (لوقا ١٤ : ١٦ - ٢٤)

+ عيد من هو عيد الميلاد؟

يزداد شعور يسوع بالغبرة في عيد ميلاده سنة بعد سنة في خضم الاحتفالات والزينة والمفاهيم المتبدلة لهذا العيد. فلنتصور للحظة، أننا نقيم عيد ميلاد أحد الأشخاص، وفي غمرة الاحتفال تنبه أحدهم الى ان المحتفى به ليس حاضرا وأن هم الحضور هو الاحتفال بعينه، بما يتضمنه من مآكل وهدايا وعبارات مجاملة وغيره، مع تسجيل ان حضورهم لم يكن بالأصل من أجل صاحب الذكرى. فلنتصور شعور هذا الانسان. لنتصور إحساسه بالغبرة وبأنه مهمش في نفوس من حسبهم أحياء له. هل هناك احساس بالألم الوجودي والجراح اكثر من هذا؟ كل ذلك هو وصف لحالة شخص مخلوق عادي فكيف اذا تخيلنا مقدار شعور ذاك الذي خلقنا وأحبنا حتى انه حمل ويحمل وجع وألم كل واحد منا بمجرد التجائنا اليه؟ أليس من

الطبيعي ان ينعصر قلبه الإلهي حزناً على ما آلت اليه حالنا من عدم المحبة والغرق في الذات والانغماس في ما هو بعيد عن سبب وجودنا، الرب يسوع؟

نحن نحتفل بأنفسنا وليس بميلاد المسيح. نحتفل باللباس الجديد والمأكّل والهدايا التي غالباً ما تكون بدافع الواجب او المجاملة (مثلاً: هدية مدير شركة لزبون في عيد الميلاد) وبالزينة التي نقيمها لنذل على رفعة نوقنا لا على اكرام يسوع. والادهي من ذلك ان كل هذا صار طبيعياً، لا بل صار هو الطبيعي. لذا، قد يستغرب الكثير من المحتفلين "بعيد الميلاد" ان يذهب غيرهم الى الكنيسة يوم العيد بعد ليلة سهر طويلة وربما صاخبة. في مثل هذا الجو يُستبدل المسيح بكل شيء ما عداه، بكل شيء لا يمتّ اليه بصلة.

لهذا، برزت عبارات يستعملها الكثيرون في هذه المناسبة فيما هي فارغة من اي مضمون روحي او مسيحي، لا بل قد تكون مضادة لكل مضمون روحي ومسيحي. لنأخذ مثلاً عبارة: " Merry Xmas والتي يقرؤها الناس: Merry Christmas . ان حرف X في الرياضيات يدل على المجهول - Unknown - . لقد استبدل المسيح - Christ - بحرف X المجهول وكأن المقصود فقط: - Be Merry - كونوا مبسوطين ولكن ليس بالضرورة في المسيح. وبدل ان نتمنى البركة والهناء المبارك للناس، نشترى بطاقات خالية من اي ذكر للمناسبة، مثل: - Happy Holidays - أعياد سعيدة و: Season 's Greetings - تحيات الموسم. وهل الموسم هو شخص - ولو معنوياً - ليبعث الي بتحيةة؟ ان انتماءنا المسيحي واحساسنا بأهمية ما نحتفل به يجب يوعينا على خطر الانزلاق في مثل هذه المنزقات التي يجب ان نرفضها وان نوعي غيرنا عليها.

ميلاد يسوع هو عيد تجسد الله. لكن هذا التجسد خرج الى النور في جو فقير وحقير، فيما نحن نحتفل بالأبهة والترّف. هو عيد حلول الله بيننا، لا عيد الأطفال فقط (وكأننا صرنا بالغين بكل ما تعنيه الكلمة من معنى).

المناسبة هي دعوة للتأمل في مغزى التنازل الإلهي، لا مناسبة لاشاحة الوجه عن الله القريب نحو المذات المفسدة. بالإضافة الى ان كثرة التركيز على دفاء العائلة والهدايا والملبس والمأكّل والمشرب يضع الذي لا يملك كل هذا في خانة الحزن واليأس والتهميش. لكن هؤلاء المهمشين هم رفقاء واحباؤه الذين اوصانا بهم لذا علينا ان نتوجه اليهم قبل التوجه الى عائلاتنا. فقط عنده، نستطيع التعييد بضمير نقي وقلب مشبع بحرارة العطاء ليس فقط لمن هو قريب منا باللحم والدم، بل للمحتاج الى ما عندي ، والذي أوصاني به الرب انه هو القريب.

+ العبادة المسيحية

”ابتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة... سبع مرات في النهار سبّحك على أحكام عدلك“ (مزمور ١١٩ : ١٦٢ و ١٦٤).

العبادة في الكنيسة الأرثوذكسية معبرٌ عنها في ثلاثة أوجه:

١ - الصلوات التقديسية الإيقاعية: كل الصلوات والخدم هدفها تقديس الإنسان ، أي نيل نعمة الرب وبركته. الصلوات الإيقاعية هي التي تُقام كل يوم بحسب ترتيب معين ووقت معين، مثل صلاة السحر، صلاة النوم، صلاة نصف الليل والساعات.

٢ - الصلوات التقديسية غير الإيقاعية: هي أيضا هدفها تقديس الحياة إنما لا وقت محدد لإقامتها، مثل الأسرار: المعمودية، الزواج، الإعراف... الخ. وبعض الخدم التبريكية الأخرى: تقديس الماء، مباركة المنازل، الصلاة على مريض، الصلاة على المرأة يوم ولادتها وعلى الطفل المولود حديثا... وجميعها تؤكد على حضور الله الفاعل في حياة البشر واشتراكنا في نعمة الرب.

٣ - الإفخارستيا أو القداس الإلهي: وهي التعبير الأهم عن خبرة الكنيسة العبادية. الإفخارستيا تعني ”الشكر“ وهي معروفة بالقداس الإلهي حيث تتجلى الكنيسة ككنيسة وتتحد فعلا مع الرب عبر الإشتراك بالقدسات، أي تناول جسد الرب ودمه الكريمين، فتصير فعلا جسدا واحدا يوحد الرب.

مميزات الليتورجيا: قد تكون الخدم الليتورجية الأرثوذكسية مستفيضة وطويلة كما يدعى البعض، إلا انها تتميز ببعض المميزات الخاصة بها:

حسن الوقار مع الفرح والإبتهاج: من يشترك في الخدم العبادية لا بد ان يلحظ جو الوقار متلازما مع جو الفرح والإبتهاج اللذين يحيطان بها. أنت في حضرة الله وسر الخلاص والفاء موضوع أمامك، فلا بد ان تقف بوقار ملؤه الفرح. هذا الجو هو تعبير عن ايماننا بقيامة المسيح وتأله البشرية اللذين يشكلان جوهر العبادة. لذلك، ومن أجل تنمية هذا الشعور والتشجيع على المشاركة الكاملة، ترنل هذه الخدم، وتستعمل الألحان النابعة من تقاليد الشعوب بحسب مناطقها. فاليونان والعرب يرتلون بيزنطيا والروس يستعملون موسيقى الشعب الروسي الخ...

موضوع العبادة الأساسي وهو الخلاص الذي جلبه لنا الرب عبر القيامة، يشكل بحد ذاته مصدر الفرح بالنسبة لمن يشارك في الصلاة. سر القيامة، قيامة المسيح، هو محور حياة الشرق المسيحي. حتى في الاسبوع العظيم، عندما يصبح الصوم ثقيلًا على المؤمنين، وتذكر الكنيسة والليتورجيا بالحزن والألم والصليب ووحدة القبر، هناك مسحة فرح تسمع: "لا تتوحي

عليّ يا أمي إذا شاهدتني في قبر... لأنني سأقوم وأتمجد". يتراكم الفرحة حتى لحظة القيامة صباح الفصح، حين تكون الشموع مضاءة والكاهن يعلن "المسيح"، فيرد المؤمنون الذين يحيون الفرحة من جديد بالتحرك في الخطيئة والموت: "حقاً قام". كل الحياة الليتورجيا في الشرق هي تسبيح للرب القائم، "النور الذي لا يغرب". كل الاسرار تتجه نحو هذا العبور الفصحي وتجد كلامها به. كل الخدم الإلهية أيام الآحاد، على مدار السنة، هي احتفال بالقيامة. وكل أحد نقول: إذ قد رأينا قيامة المسيح فلنسجد للرب القدوس يسوع البريء من الخطأ وحده. لصليبك أيها المسيح نسجد ولقيامتك المقدسة نسبح ونمجد لأن هوذا الفرحة قد أتت لكل العالم...".

أخيراً، عندما نتحدث عن الفرحة لا نقصد الضحك والسرور العابر بسبب كلام مضحك، بل نتحدث عن الفرحة الذي ينبع من القلب ويدوم الى الأبد وليس للحظات قليلة تشعر بعدها بالفراغ، الفرحة الذي ينعكس أشاعاً من الوجه. إنه فرحة جمال العالم الروحي، الفرحة الذي نمتلئ به أثناء العبادة، الفرحة الذي يرافقنا طوال أيام حياتنا فلا نشعر بتعب صلوات الأسبوع العظيم الطويلة لأننا على يقين ان القيامة آتية وخلصنا آت معها. حتى في خدمة الدفن التي يغمرها جو الحزن نلاحظ مسحة فرحة لأن بعد الموت القيامة، ومن آمن بيسوع وان مات فسوف يحيا الى الأبد.

+ من أقوال آباء الكنيسة في الترتيل

+ الإنسان العاقل يختار ما هو الأفضل، ويعرف الله، خالق كل الأشياء، لذا فهو يشكر الله ويسبحه بالترانيم . (القديس انطونيوس الكبير).

+ إن قراءة الكتابات المقدسة والاسهار والصلوات والترانيم تهيء العقل لمحاربة خداع الالهواء. (القديس ثالاسيوس)

+ صل كما هو لائق، بدون انقطاع، ورتل الترانيم بفهم وباللحن الصحيح. (القديس نيلاس)

+ الله هو السلام الذي يتجاوز كل صخب وصراخ، لذلك يجب ان تكون ترانيمنا ملائكية وبدون صخب. (القديس غريغوريوس السينائي)

+ عندما ترتل، احتزز ان تقول شيئاً بشفتيك فيما يحلم عقلك بأشياء اخرى. (القديس فيلمون)

+ يجب علينا، كما تعلم الكتابات المقدسة، ان نحفظ العقل بانتباه وان نرتل بدوت تشتت على ان يكون ترتيلنا عن فهم. (القديس فيلمون)

+ اذا كنت عارفا ما ترتل تكتسب وعيا بما تعلم، وانطلاقا من هذا الوعي، تكتسب الفهم، وانطلاقا من هذا الفهم تجد نفسك مدفوعا لممارسة ما صرت واعيا له. (القديس ثيوليبتوس)

+ ان قراءة الاسفار المقدسة بالمقدار اللازم إضافة الى تفاسير الآباء لها والترتيل الممارس عن فهم، هي من الأشياء التي توظف العقل من سباته وتساعد المرء على ان يكون ملتصقا بالله. (القديس كاليستوس تيليكوديس)

+ اذا لم تنعم بعطية الصلاة او الترتيل، اطلبها بحرارة فتتالها. (القديس نيلوس)
+ ان حساب الكمية في الصلوات ممتاز شرط ان يكون مسبوقا بالإحتمال والصبر والانتباه الداخلي، إلا أن النوعية هي التي تحيي الروح وقد تنتج ثمارا روحية. فكمية الترتيل والصلاة تعتمد على الصلاة بالروح والذهن (العقل). الإنسان يصلي بالذهن عندما يحفظ العقل بتدقيق، اثناء الصلاة والترتيل، ذاك العقل المنغرس في الاسفار المقدسة والمرتفع بالأفكار السامية نحو المعاني الروحية الساكنة في القلب. (القديس نيكيتاس ستيثاتوس)
+ لقد أعطينا الترتيل لكي نرتفع من المحسوسات الى ما هو سام وحق. (القديس غريغوريوس السينائي).

+ الإله المتجسد

... مثل سورة الغضب على التجديف،

(هكذا) توقد الفرح بالحبيب

يجني ثمارا بلا عيب.

الرب فرحي وإليه أميل،

سهل طريقي الى الرب

لأنه يعضدني.

بسيطا تجلى لي،

رفقه لطف عظمته.

شابهنى كي أقتبله،

مائلني كي ألبسه،

لم أرتعب عند مشاهدته

لأنه خلاصي.
إتخذ طبيعتي كي ادركه
ووجهي كي لا أتحول عنه.

... منزه عن الخطأ هو،
كمال الأزمنة ومبدعها .
علمها أنها خاصته
لتعرف أنه الخالق
وأنها ليست مصدر ذاتها.

شق الى المعرفة طريقا
وسعه، مده أوصله الى كماله،
ألقي عليه ظلال نوره.
يمتد من الأصول الى الغاية
لأنه صنع يديه.

بالإين سر،
من أجل الخلاص يفتني الكون.
بقديسيه يعرف العلي،
يبشر المنشدين بمجيء المخلص
كي يهرعوا لملاقاته
ويرنموا له بابتهاج
على القيثارة المتعددة الأوتار.

ليخرج المبصرون اليه
ويتراءوا امامه.
ليسبحوا الله لأنه محب،
لأنه قريب وناظر.
سيقتلع الحقد من الارض

ويدفن مع الحسد.
اضمحل الجهل
لأنه حكمة الرب قد عمت .

يرنم المرنمون
لنعمة الرب العلي
ويقدمون له التسبيح.
قلوبهم مشرقة كالنهار
والحانهم كجمال الرب.
لن تبقى نفوس جاهلة أو صامتة
لأنه وهب خلانقه فما
لتتطق شفاههم بالتسبيح.

اعترفوا بعظمته
وأذيعوا صلاحه
هلليويا.

من أناشيد سليمان
(بدايات القرن الثاني)